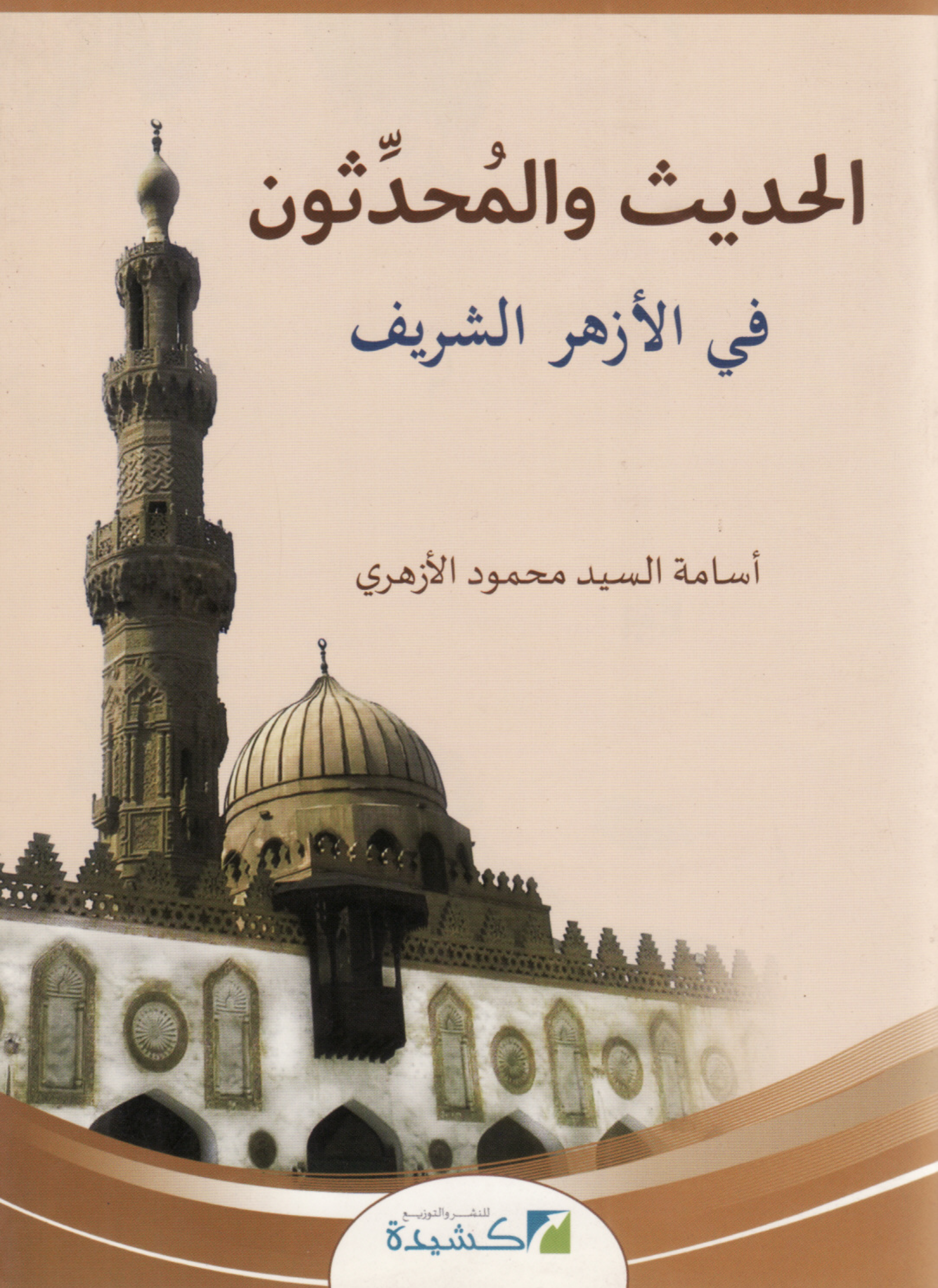
إصدارات مكتب رسالة الأزهر

الحديث والمُحدِّثون

في الأزهر الشريف

أسامة السيد محمود الأزهري



للنشر والتوزيع
كشيدة

بالتعاون مع



مكتب رسالة الأزهر

الحديث والمُحدِّثون

في الأزهر الشريف

أسامة السيد محمود الأزهري



الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م

اسم الكتاب: الحديث والمحدثون في الأزهر الشريف
اسم المؤلف: أسامة السيد محمود الأزهري

٤٨ ص، ٢٠ * ١٤ سم

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠١١٧/٢٠١٤

الترقيم الدولي ISBN
978-977-5002-34-1

الناشر: كشيدة للنشر والتوزيع
العاشر من رمضان - مصر
info@kasheeda-publishing.com
www.kasheeda-publishing.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب محاضرة، تم إلقاؤها في ندوة انعقدت في قاعة الإمام محمد عبده، في جامعة الأزهر الشريف، تحت عنوان: (الحديث والمحدثون في الأزهر الشريف)، يوم الأربعاء، ٢٢ جمادى الآخرة، سنة ١٤٣٢هـ، الموافق ٢٥ مايو، سنة ٢٠١١م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،

والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ سيد الأولين والآخرين وخاتم النبيين والمرسلين ورحمة الله تعالى للعالمين،

اللهم صلِّ وسلم وبارك على حبيبك ونبيك وعبدك وصفيك سيدنا ومولانا محمد،

وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار،

ما توالى الليل والنهار، وسلم تسليمًا كثيراً.

ثم أما بعد؛

مقدمة عن تكامل دوائر العلوم في الأزهر الشريف

فلقد اعتنى الأزهر الشريف عبر تاريخه الطويل، وعبر تجربته التعليمية العريقة، عناية فائقة بدوائر العلوم، على اختلاف مقاصدها ومجالاتها، وذلك لاتساع دائرة الوافدين إليه للدراسة، من مختلف الأقطار والأعراق والأمزجة، وإن كانوا جميعا قد قصدوا في المقام الأول إلى خدمة العلم الشرعي الشريف، إلا أن ذلك بعينه هو الذي حملهم على توسيع دوائر النظر والتأمل والفكر والعلم، حتى وُجِدَتْ في الأزهر الشريف حلقات علمية لتدريس العلوم التطبيقية، والعلوم العقلية، والعلوم النقلية، وعلوم اللسان، وغير ذلك من دوائر العلوم.

وممن أشار إلى اتساع هذه الدوائر وعكوف الأزهر على تدريسها شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر، العلامة الشيخ أحمد الدمنهوري، فقد أشار في ثبته المسمى بـ«اللطائف النورية، في المنح الدمنهورية» إلى نحو ثلاثين علما تلقاها على يد علماء الأزهر الشريف، وكتابه هذا مخطوط في المكتبة الأزهرية.

وأشار إلى ذلك أيضا الشيخ رفاعة الطهطاوي في كتابه الماتع

المسمى: «مناهج الألباب المصرية، في مباهج الآداب العصرية» وهو مطبوع، وقد توسعتُ في رصد ذلك في كتاب: «أسانيد المصريين».

والمقصود هنا أن دوائر العلوم قد تكاملت في الجامع الأزهر الشريف، فدُرستْ فيه علوم المعقول والمنقول، والفروع والأصول، ونهض أشياخه بعلوم العربية، والعلوم العقلية، والفقه والأصول، بنفس المقدار الذي نهضوا به بالحديث الشريف وعلومه.

بل إنهم بذلوا في خدمة الحديث الشريف أعمارهم، وتفننوا في تعلمه وتعليمه، وإقرائه، وتداول أسانيده، وشرحه، وتعليم علوم الاصطلاح، والتأليف فيها، حتى أخرجوا فيه التصانيف الفائقة الرائقة.

فكان من المهمات ومن الواجبات رصد حركة الحديث الشريف وعلومه، في الأزمان المتأخرة في الجامع الأزهر الشريف؛ فإنني أرى أن هذا حديثٌ عجبٌ، وأنه يتكشّف من جمع أطرافه من خبايا الزوايا ما يُتعجب من خفائه على المعاصرين.

*****

لمحة عن أسباب الوهم الشائع القائل بأن الأزهر الشريف ضعيف في الحديث

فقد درج كثيرٌ من المشتغلين بالعلم على كلمةٍ عجيبة، حتى ظُنت مسلّمةً، وهي أن الأزهر الشريف ليس بمدرسة حديثٍ، وأنه ليس ببيئةٍ حديثيةٍ ذات اشتغالٍ بتوليد هذا العلم، وبإخراج المحدثين، حتى لقد مال إلى مثل هذه الكلمة رجلٌ جليلٌ من أئمة هذا الشان، ومن كبار مشايخ شيوخنا، ومن كبار العلماء الذين تخرجوا من الأزهر الشريف، بل كان محدث عصره، وشامة دهره، ألا وهو شيخ مشايخنا العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى رحمةً واسعة، فقد أخرج كتاب «بُلْغة الأريب في مصطلح حديث الحبيب» للإمام الحافظ أبي الفيض محمد بن محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، فذكر في أوائله أن الأزهر الشريف من بعد الحافظ مرتضى الزبيدي لم يكن معنيًّا بالحديث الشريف.

وأرى أن هذا إنما نشأ عند العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، فضلًا عن المعاصرين الذين ليس لهم أدنى اشتغال بتاريخ الأزهر،

وبمعرفة رجاله، وبالتسلل إلى كنوزه الخفية، إنما نشأ هذا من أن تلك الجهود التي قام فيها علماء الأزهر الشريف بخدمة الحديث الشريف وقعت مُفرّقة الأطراف، متباعدة الأكناف، وأنه لم ينتهض أحدٌ إلى يومنا هذا، ليدأب على جمع النظير إلى نظيره، والشبيه إلى شبيهه، فإنه إذا ما جُمعت الأشباه والنظائر، وإذا جُمعت جهود الأكابر في صعيدٍ واحدٍ، تكشّف لنا مقدار ما أمدّ به الأزهرُ الأمةَ من الجهود في الحديث الشريف، من كافة الوجوه والزوايا، حتى إنه قد ظهر لي بعد يسير نظرٍ وتتبعٍ، أنه ما من مدرسةٍ علميةٍ، في المشرق ولا في المغرب، قد خدمت الحديث الشريف روايةً، ودارية، وفقهًا، وصنعةً، وتصحيحًا، وتضعيفًا كما قام به الأزهر الشريف، وحتى لقد تبدّى لي بعد يسير تتبع وتأملٍ أن هناك وهمًا كبيرًا قد سرى إلى الأذهان، وخيّم فيها، وهو القول بأن الأزهر الشريف ليس بمدرسة حديث.

*****

لمحة في بيان الفنون المتكاثرة
التي خدم الأزهريون من خلالها الحديث الشريف وعلومه

وحتى لا يكون الكلام مرسلًا على عواهنه؛ فإني أتقافز بكم سريعًا ما بين أضواءٍ باهرةٍ من جهود علماء الأزهر الشريف في خدمة الحديث الشريف وعلومه، وقد تبيّن لي أنهم خدموا الحديث الشريف من خلال ثمانية أبواب، على عدد أبواب الجنة.

* فقاموا أولًا: بشرح الكتب الحديثية الكبرى من الصحاح والسنن فما دون، وهذا هو الباب الأول.

* الباب الثاني: أنهم اشتغلوا اشتغالًا تامًا -ليس لسواهم فيه نظير- بعلم مناهج المحدثين.

* الباب الثالث: أنهم أكبوا على علوم الاصطلاح تحريرًا، وإنضاجًا، وتلخيصًا، ومراجعةً، حتى لقد أبرز القرن الماضي من تصانيف الأزهريين في علوم الحديث ما لم تنتجه مدرسةٌ أخرى قط.

* الباب الرابع: أنهم ألفوا المؤلفات الفائقة في علم تخريج الحديث، والمسالك، والإجراءات الحديثية، التي تُوقّف المحدث على مواضع ذكر الحديث بالسند، مع معرفة كيفية جمع الطرق، وتركيب بعضها مع بعض، لاستخراج العلل، مع معرفة أبواب الجرح والتعديل، وسبر الرجال، ونقد الطرق، وكيفية الحكم على الأسانيد.

* الباب الخامس: أنهم اشتغلوا بعقد مجالس إقراء الحديث، وإسماعه، والمحافظة على سلاسل أسانيده، ومنح الإجازة فيه.

* الباب السادس: أنهم حافظوا على الصنعة الحديثية، وفنون الجرح والتعديل، والتصحيح والتضعيف.

* الباب السابع: أنهم قاموا بتأليف الجوامع الحديثية التي تشبه الجامع الصغير للحافظ السيوطي.

* الباب الثامن: أنهم قاموا بفن التحقيق، وإخراج الكتب الحديثية المخطوطة من حيز الكتاب المخطوط النادر، إلى دائرة الكتاب المطبوع المتداول، مع امتلاك نواصي علم تحقيق النصوص، بحيث صاروا مثلاً يُضرب في هذا الباب.

فشرحوا كتب الحديث الكبرى، وألفوا في مناهج المحدثين، وحرروا تحريرًا فائقًا في علوم الاصطلاح، ودرسوا علم التخريج، وعقدوا المجالس الحديثية لسرد كتب الحديث ودواوينه الكبرى، وتكلموا في التصحيح والتضعيف، وجمعوا الجوامع الحديثية، وأخرجوا نفائس المخطوط وكنوزه إلى عالم المطبوع، وإليكم أنموذجًا عابرًا مختطفًا ملتقطًا في كل باب.

*****

الفن الأول: لمحة من مؤلفات الأزهريين في شرح الكتب الحديثية الكبرى

أما الفن الأول: وهو شرح الكتب الحديثية الكبرى؛ فقد قاموا بهذا في أثناء مجالس الإقراء، وقاموا بهذا تصنيفًا، وتدوينًا، وكتابةً، فقام الإمام الكبير شيخ الإسلام الشيخ علي الصعيدي العدوي -رحمه الله تعالى- بإقراء «صحيح الإمام البخاري» في مدة عشر سنوات، وكان لا يترك شاذةً ولا فاذةً تتعلق ببحوث الصحيح فقهًا، وعربيةً، وأحكامًا إلا تطرق إليه، وممن تلقاه عنه في مدة تلك السنوات الإمام الأمير الكبير ت١٢٣٢هـ، صاحب الثبت المسمى بـ«سد الأرب من علوم الإسناد والأدب» وثبته مطبوعٌ غير مرة.

ثم قام العلامة الكبير الشيخ حسن العِدْوي الحمزاوي بشرح «صحيح الإمام البخاري» في كتابٍ كبيرٍ في عشرة مجلدات، وشرحه مطبوعٌ طبعة حجرٍ قديمة، وقد اطلعت عليه.

ثم قام العلامة الكبير الشيخ عبد ربه سليمان رحمه الله تعالى بشرح كتاب «جامع الأصول» للإمام ابن الأثير رحمه الله تعالى،

وطُبع من شرحه مجلدٌ قدّم له جماعةٌ من كبار علماء الأزهر كان على رأسهم مسند العصر على الإطلاق الإمام الكبير الشيخ أحمد رافع الطهطاوي.

ثم العلامة الشيخ محمود خطاب السبكي ت١٣٥٢هـ في شرحه الواسع على سنن أبي داود، والمسمى: «المنهل العذب المورود، في شرح سنن أبي داود»، وأكمله من بعده ابنه الشيخ أمين ت ١٣٨٧هـ، وهو مطبوع ومشهور.

ثم العلامة الأزهري الجليل الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن صالح الخانجي البوسنوي ت١٣٦٣هـ، صاحب «الجوهر الأسنى، في تراجم علماء البوسنة»، فله شرح على «تيسير الوصول، إلى جامع الأصول» لابن الديبع الشيباني، كتب منه مجلدين، وله شرح على سنن ابن ماجه، كتب منه قطعة يسيرة، اسمه: «إظهار البهاجة، بشرح سنن ابن ماجه»، وله إجازة من مسند مصر، العلامة السيد أحمد رافع الطهطاوي، وإجازة من العلامة محمد زاهد الكوثري، وكان رحمه الله محدثا فاضلا معتنيا، حتى إن العلامة الشيخ حسنين مخلوف كان يسأله فيما يحتاجه من الحديث، وطلب منه أن يخرج أحاديث كتاب من كتبه.

ثم قام العلامة الكبير الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي بالإكباب على «مسند الإمام أحمد»، حتى أنفق وقضى في خدمة المسند عمره فأعاد ترتيبه على الأبواب الفقهية في كتاب «بلوغ الأماني»، ثم إنه قد شرح ترتيبه هذا بشرحٍ سماه «الفتح الرباني من أسرار بلوغ الأماني من ترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني».

ثم قام العلامة الكبير الجليل شيخ مشايخنا الشيخ موسى شاهين لاشين بالإكباب على صحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري فشرح الصحيح، وأكب على شرحه نحوًا من عشرين سنةً، ثم أخرج لنا كتابه الماتع العجاب المسمى بـ«فتح المنعم في شرح صحيح الإمام مسلم»، وقد طبع مرةً، ثم طبع مرةً أخرى في دار الشروق طبعةً ناصعةً، بهيةً، تليق بصحيح مسلمٍ، وبشرحه.

ثم قام الإمام المحدث الشيخ محمد محمد أبو شهبة رحمه الله تعالى بشرح صحيح الإمام البخاري في كتاب «توفيق الباري بشرح صحيح البخاري»، وقد أتم منه خمسة عشر مجلدًا إلا أنه لم يُطبع.

ثم قام بعده شيخنا العلامة المحدث الشيخ أحمد عمر هاشم بشرح صحيح الإمام البخاري في كتابه «فيض الباري في شرح صحيح البخاري» وقد طُبعت منه عشرة مجلدات.

ثم قام شيخنا العلامة المحدث الشيخ محمد زكي الدين أبو القاسم -متّعه الله تعالى بالصحة والعافية-، فأكب على الأحاديث المتفق عليها بين الصحيحين، وشرحها في كتاب عجابٍ اسمه «جامع البيان في شرح ما اتفق عليه الشيخان»، وقد طُبع في خمسة عشر مجلدًا.

إلى غير ذلك من كبار الأزهريين الذين أكبوا على شرح الكتب الحديثية الكبرى، والإبانة، والإعراب عما اشتملت عليه من الفقه، والعربية، والبحوث العلمية الدقيقة.

ولو أنني ذهبت أستقصي من أكبّ منهم على إخراج المؤلفات في فقه الحديث، وفي شرح بعض الأحاديث لأتيتكم من ذلك بالمئات، بل بالألوف.

ولو أن أحدكم أكب على فهرس مكتبة كلية أصول الدين في القاهرة فقط، ورأى تصانيف العلماء الأزهريين في فترة الثلاثينات، والأربعينات، والخمسينات، وكيف أن الواحد منهم كان يشرح أحاديث مختارةً من صحيح البخاري، أو مسلمٍ، أو غير ذلك لرأى كمًا هائلًا.

فخبروني بالله ربكم أيُّ مدرسةٍ في العالم في المشرق أو المغرب حررت فقه الحديث هذا التحرير، وأنضجت هذا الفن بمثل هذا الإنضاج؟

أزعم- والله تعالى أعلم- أنه ما بذلت مدرسةٌ من المدارس قريبًا من هذا، ولا شبيهًا به، ولا مثيلًا له، وهذا الباب بابٌ واحدٌ من أبواب خدمة الأزهريين للحديث الشريف، وللسنة النبوية المطهرة.

*****

الفن الثاني: لمحة من مؤلفاتهم في مناهج المحدثين

ثم خذوا الفن الثاني، وهو باب علوم الاصطلاح، فقد ألّف العلامة الكبير الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني صاحب كتاب «مناهل العرفان في علوم القرآن»، ألّف كتابه المسمى بـ«المنهل الحديث في علوم الحديث» وقد طُبع.

ثم جاء بعده العلامة الكبير الشيخ أحمد علي أحمدين، وشرح كتاب «نُخبة الفكر» للحافظ ابن حجر في شرحه المشهور المسمى بـ«ضوء القمر على نخبة الفكر»، وقد طُبع قديمًا في دار المعارف، ثم طبع غير مرة.

ثم جاء العلامة الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف، وألّف كتابه «المختصر في علم رجال الأثر»، ثم ثنى بكتابه «المعتصر في علوم الأثر».

ثم جاء العلامة الشيخ مصطفى أمين التازي شيخ مشايخنا، وألّف كتابه الجليل المسمى بـ«مقاصد الحديث في القديم والحديث»، وهو مطبوع.

ثم جاء العلامة الكبير الشيخ محمد محمد السماحي رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً، وألّف كتابه العجيب الذي ليس له من شبيهٍ ولا نظير، والمسمى بـ«المنهج الحديث في علوم الحديث»، وقد خرج في أربعة أجزاء.

ومن تلامذة هذا العَلَم: العلامةُ الكبير شيخنا المحدث الشيخ نور الدين عتر، ولما أن شرفت بزيارته أبدى حسرةً، وحزنًا، وألمًا، على الإهمال في طباعة كتاب «المنهج الحديث» للعلامة الشيخ محمد السماحي، وأخبرني أن هذا الكتاب من الكتب المتقنة المحبوكة التي حررت علوم الحديث أتم تحرير.

بل وأزعم -والله تعالى أعلم، نتيجة نظري ومقارنتي في كتب الاصطلاح- أن هذا الكتاب -كتاب الشيخ السماحي- يُقَدَّم على كتاب «توجيه النظر في علوم الأثر» للشيخ طاهر الجزائري.

وقد حدثني شيخنا سماحة الإمام العلامة مفتي الديار سيدي الشيخ علي جمعة أنه سأل الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عن الكتب التي تصلح منهجًا للمُحَدِّث، فنصحه بكتب مرتبة، فبدأ بكتاب «نزهة النظر» ثم بـ«نُكَت الحافظ ابن حجر على ابن الصلاح» ثم بـ«تدريب الراوي» ثم بـ«فتح المغيث» ثم ختم بكتاب «توجيه النظر» للشيخ

طاهر الجزائري، وقال الشيخ عبد الفتاح: «لأن في هذا الكتاب فلسفة الفن الحديثي»، وكان الشيخ طاهر الجزائري يمزج فيه بحوث وأنظار الأصوليين بأنظار المحدثين، ولأجل هذا فإنه قد طبع مرة قديمة في مجلد، فأعاد العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة إخراجه في طبعة قشيبة، وحُلَّة زاهية، على ما هو المعهود من إتقان العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في كتاباته وتحقيقاته، فأخرج الكتاب في مجلدين.

وحينما أمعنت النظر في كتاب «المنهج الحديث» للعلامة الشيخ السماحي وجدته يضرب بحوث علم الأصول ببحوث علم الحديث، فيأتي بتحقيقات وتحريرات.

وكان شيخنا العلامة المحدث شيخ المحدثين على الإطلاق في هذا الزمن، العلامة الشيخ أحمد معبد عبد الكريم يذكر لي أنه قرأ كتاب «فتح المغيث» كاملًا، في مجلداته الخمسة، على العلامة الشيخ محمد السماحي، قال: «وكان الشيخ السماحي ربما حرر واستدرك على الحافظ السخاوي في بحوثه».

ثم من بعد الشيخ السماحي، جاء العلامة الكبير الشيخ محمد محمد أبو شهبة، وألف كتابه الماتع المسمى بـ«الوسيط في علوم ومصطلح الحديث»، وقد طبع في مجلد، وأرى أنه يوضع جنبًا إلى

جنب مع كتاب «تدريب الراوي»، ومع كتاب «فتح المغيث».

ثم كذلك أستاذنا وشيخنا العلامة الشيخ محمد محمود أحمد بكار في كتابه المسمى «بلوغ الآمال من مصطلح الحديث وعلوم الرجال» في مجلدين كبيرين.

ولو ذهبتَ تستقصي ما كتبه العلماء والمدرسون الأزهريون في علوم الاصطلاح من الثلاثينات إلى الآن فقط في مدة ستين أو سبعين سنة، لرأيت ما لا يقلّ عن أربعمائة أو خمسمائة عنوان وكتاب، مؤَلَّفٍ في باب الاصطلاح وعلوم الحديث، فكأن المدرسة الأزهرية قد بذلت وقامت بجهدٍ خارقٍ في تحرير علوم الاصطلاح، بما لا يوجد عند مدرسة أخرى في العالم.

فقد شُرحت الكتب الحديثية الكبرى، كما ذكرنا في الباب الأول، وخرجت الكتب المحررة المحبرة في علوم الاصطلاح في الباب الثاني.

*****

الفن الثالث: لمحة من مؤلفاتهم في علوم الحديث ومصطلحه

ثم الفن الثالث، فقد ألَّف العلماء الأزهريون ثالثا في باب مناهج المحدثين، وباب مناهج المحدثين بابٌ من العلم ظل ميتًا من بعد قرون الأقدمين من أهل الحديث والنقد، حتى نهض بلوائه الأزهريون، وذلك أن كلمة مناهج المحدثين هي المُعادل والمُعَبِّر، عن الكلمة التي كانت تسمى قديمًا بشروط الأئمة، شروط الأئمة التي ألَّف فيها الإمام ابن منده، والتي ألَّف فيها الحازمي والمقدسي، المعنى الذي كان يعبر عنه قديمًا بشروط الأئمة هو الذي عُرِف في زماننا هذا بمناهج المحدثين، وقد نبه إلى ذلك العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في أوائل تعليقاته على كتاب شروط الأئمة الخمسة، وشروط الأئمة الستة للحازمي والمقدسي.

بل إن مناهج المحدثين قديما كانت محل بحث وعناية من الحفاظ والمحدثين النقاد، في أنماط من الكتب والتآليف، منها: كتب الخواتيم، وكتب الفواتح، وكتب الشروط.

مثال الأول: ختم الحافظ ابن ناصر الدين لصحيح مسلم، وختم

السخاوي لسنن النسائي، المسمى بـ«القول المعتبر، في ختم سنن النسائي رواية ابن الأحمر»، وهو مطبوع.

ومثال الثاني جزء للحافظ أبي طاهر السلفي في «استفتاح كتاب معالم السنن للخطابي»، وجزء له في «افتتاح الاستذكار لابن عبد البر».

ومثال الثالث كتاب «شروط الأئمة» لابن منده، ففي هذا النمط من التآليف كانوا يتعرضون لشرط المؤلف في كتابه، والتزاماته التي يلتزمها، وما كانوا يستخدمون كلمة (المناهج)، فمن ذهب يفتش عن مناهج المحدثين بهذا اللفظ فإنه يظن أنهم لم يعتنوا بهذا الفن، وهو مخطيء في ذلك، وقد فصلت هذا المعنى في كتابي: «إحياء علوم الحديث».

ومن المعاصرين الأزهريين المحدثين شيخ مشايخنا العلامة الكبير الشيخ محمد محمد أبو زهو، في كتابه الجليل المسمى «الحديث والمحدثون». ثم كذلك أستاذنا وشيخنا العلامة المحدث الورع، النحوي الحُجة العابد، العلامة الشيخ أحمد محرم الشيخ ناجي -متعه الله بالصحة والعافية- في كتابه المسمى بـ«الضوء اللامع المبين، عن مناهج المحدثين» في مجلدين انتهى فيهما إلى مناهج المحدثين إلى القرن

الرابع، وأخبرني غير مرة أنه يحضره من العلم ما لو أراد أن يتم به مناهج المحدثين إلى العصر الحاضر لفعل، وأنه لو فعل لخرج الكتاب في عشرة أجزاء.

وكذلك كتاب شيخنا العلامة الشيخ أحمد عمر هاشم في مناهج المحدثين، وغيرهم كثير ممن ألف في هذا الباب.

فهذا فنٌ آخر من الفنون الحديثية التي لا يعرفها فلان ولا فلان من المشتغلين أو المنتسبين إلى الصنعة، وليست بمعهودة في كتابات المشرقيين والمغربيين، إلا في الفترة القريبة من بعد كتابات هؤلاء، فقد بدأت تنشط قضية مناهج المحدثين، وكَثُرت فيها الكتابات، واستفاضت من بعد ذلك.

والخلاصة أنه قد شُرحتْ الكتب الحديثية الكبرى، ووقع التحرير التام في باب علوم الحديث، وظهرت التآليف في باب مناهج المحدثين.

*****

الفن الرابع: لمحة من مؤلفاتهم في علم تخريج الحديث

ثم الفن الرابع، وهو: «الكتابات في باب تخريج الحديث»، وقد ألَّف في ذلك شيخنا العلامة الشيخ: عبد الموجود عبد اللطيف كتابه «كشف اللثام، عن أسرار تخريج أحاديث خير الأنام» وقد طبع في مجلدين.

وألَّف من بعده شيخنا العلامة المحدث الشيخ: عبد المُهدي عبد القادر كتابه في «طرق تخريج الحديث»، ويذكر في أوله أنه أول من ألَّف في هذا الباب، وأنه لم يطلع على كتابٍ سابقٍ في هذا الباب، وإن كان قد وقع في الكتب المخطوطة كتاب الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري «حصول التفريج، بأصول التخريج» كتب منه قطعةً في نحو تسعين صفحة، وأتى فيه بفوائد حديثية نادرة إلا أنه ما طبع إلا من نحو خمس أو عشر سنوات تقريبًا، فكأن كتاب العلامة الشيخ عبد المهدي عبد القادر هو بالفعل أول ما أُلِّف -وتم تداوله- في هذا الباب، وهذا إذا ما تمَّ وصحَّ فهو سبقٌ لعلماء الأزهر في باب التخريج.

ثم العلامة الشيخ الدكتور: رضا زكريا؛ وكتابه في التخريج كتابٌ معتمدٌ محرر، حتى إن شيخنا وشيخه سيدي العلامة المحدث النقادة الشيخ: أحمد معبد عبد الكريم الأزهري لما أن استشرته فيما أنصح به الطلبة من كتب التخريج، أعطاني كتاب العلامة الشيخ رضا، وكان ذلك قبل أن أتشرف بلقائه ومعرفته.

إذن هذا بابٌ واسع، ولو تتبعت ما كتبه العلماء العاكفون على تدريس تخريج الحديث في كليات جامعة الأزهر لخرجت من ذلك بملء هذا الوادي من الكتب المصنفة في هذا الباب.

فهذه إذن أربعة أبواب من خدمة الأزهريين للحديث الشريف: شروح الحديث، وكتب علوم الحديث، وباب مناهج المحدثين، وباب تخريج الحديث.

*****

الفن الخامس: لمحة من جهودهم في عقد مجالس إقراء الحديث وإسماعه والإجازة فيه

ثم الفن الخامس: عقد المجالس لقراءة كتب الحديث الشريف، ونحن إذا ما وافينا هذا الباب، فحدِّث عن البحر ولا حرج، وإني لأتصفح وأستحضر في خاطري سِيَر الأكابر من المشتغلين من الأزهريين بإقراء كُتُب السُّنّة، فيذهب خاطري كل مذهب، وأعجبُ، أيّ الأزهار أقتطف وأيها أترك؟!

وخذوا على سبيل المثال من غير ترتيب: العلامة الكبير الشيخ يوسف الدِّجوي المتوفى سنة خمس وستين وثلاث مئة وألف من الهجرة، فقد كان يعقد مجلس إقراء صحيح البخاري هنا، في الجامع الأزهر، كما وصف مجلسه هذا العلامة الشيخ أبو الحسن زيد الفاروقي في كتابه المسمى بـ«مقامات خير»، وهو كتاب منشور بالأُردية ولم يُترجم إلى العربية، وقد أمدني بعض العلماء الباحثين -جزاه الله خيراً- بالنص المترجم المكتوب عن الشيخ يوسف الدِّجوي، وتشرَّفت بنقله في كتابي «أسانيد المصريين»، حيث وصف الشيخ أبو الحسن زيد الفاروقي مجلس إقراء صحيح البخاري للعلامة الشيخ يوسف

الدجوي، وأنه كان يزدحم الجامع الأزهر بالحاضرين للدرس، وكان الشيخ الدجوي يتكلم على الرجال ويُبين ما يتعلق ببحوثهم، ثم يتكلم عن الفقه والعربية. ثم إن الشيخ أحمد الهواري المغربي في رحلته المسماة بـ«رحلة الحج والسياحة» يصف حضوره لمجلس الشيخ يوسف الدجوي وأن الحاضرين فيه يقدرون بخمس مئة على الأقل.

ثم إن العلامة الشيخ عبد الواسع الواسعي اليماني شيخ مشايخي في السند يذكر في ثَبَتِهِ المسمى بـ«الدر الفريد الجامع لمتفرِّقات الأسانيد» أنه حضر بمجلس الشيخ يوسف الدجوي في التفسير والحديث، وأنه كان يقرأ صحيح البخاري، وأن الحاضرين كانوا يزيدون على الألف.

خذوا عندكم العلامة الكبير الشيخ حسُّونة النواوي، شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار في وقت واحد، فقد اجتمع له الإفتاء ومشيخة الأزهر معًا في وقت واحد، فحاز المَنْقَبَتَيْن وجمع الشرفين ولم تجتمع هاتان المنقبتان لأحد سواه، إلا للإمام الأكبر شيخ الإسلام الشيخ محمد المهدي العباسي، فقد كان في وقت واحد شيخ الأزهر ومفتي الديار، ثم ما اجتمعا إلا للشيخ حسونة النواوي، ثم لم يجتمعا بعد.

الشيخ حسونة النواوي جاءه الأمر السلطاني من السلطان وأمير

المؤمنين بعقد مجمع علمي أزهري حديثيٍّ للنظر في نسخ صحيح البخاري بغرض مقابلتها وضبطها لطبع الصحيح، فجمع الشيخ حسونة النواوي واحدًا وثلاثين واحدًا من كِبار علماء الأزهر، وجمعوا النسخ الخطية لصحيح البخاري وجلسوا يُقابلون ويضبطون ويُحَرِّرون فروقات النُّسخ حتى أخرجوا الطبعة المعتمدة التي طُبِعَت سنة ١٣١١ من الصحيح، والتي عُرفت بالطبعة السلطانية من صحيح البخاري، والتي هي أوثق وأدق نسخ صحيح البخاري على الإطلاق لأنها اعتمدت على نسخة الحافظ شرف الدين اليونيني والتي كانت تُعتبر في مخطوطات البخاري رأس النُّسخ الخطية للصحيح. وبالتالي فقد صارت النسخة السلطانية رأس النُّسخ المطبوعة في الصحيح، إلا ما بحثه وحرر فيه مسند العصر شيخ مشايخنا الشيخ محمد عبد الحي الكتاني من رواية صحيح البخاري بنسخة ابن سعادة التي أنشأها الحافظ أبو علي الصِّدَفي وأنها قد تَفْضُل أو تُقَدَّم على نسخة الشرف اليونيني، وله في ذلك جزء اسمه «التنويه والإشادة برواية صحيح البخاري من نسخة ابن سعادة» وقد تحصَّلت عليها.

هذا المجمع الحديثي الكبير الجليل الذي أَكَبَّ سنوات على خدمة صحيح البخاري، ثم يأتي مَن لم يبحث ولم يُحَرِّر ويقول لك: الأزهر ليس ببيئة حديثية!

الإمام الكبير الشيخ سَلِيم البشري، شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر، أكبَّ ثلاثين سنة على إقراء كتب الحديث، وكان يُخَصِّص البخاري بالعناية، ومِمَّن حضره عليه الشيخ محمد المَكَّاوي، وذَكَر أنه عَرَض صحيح البخاري على العلامة الشيخ سليم البشري على مدى سنوات وقابله عليه، وأن المَكَّاوي كان شديد الاشتغال بصحيح البخاري حتى إنَّه استدرك مواضع يُمكن أن تُحصى وتُستدرك على الطبعة السلطانية، وعَمَل جدولًا فيه المواضع التي تُستدرك، وظل هذا الجدول محفوظًا في دار الكتب المصرية مجهولًا إلى أن جاء الشيخ عبد الغني عبد الخالق شيخ مشايخنا ونظر في دار الكتب، وأشار في كتابٍ له عن البخاري إلى تقرير الشيخ محمد المَكَّاوي. فسعى شيخنا سماحة المفتي الشيخ علي جمعة، حتى استخرج تقرير الشيخ محمد المَكَّاوي وطَبَعه مُلحقًا بكتابه الذي ألَّفه عن صحيح الإمام البخاري.

هذه الجهود، وهذه الأعمار، وهذه الأوقات، وهؤلاء الأكابر الذين أَفْنَوا أعمارهم في خدمة الحديث ثم يأتي من يقول لك: الأزهر ليس بمدرسة حديث!

خُذ عندك مثالًا: العلامة الكبير الشيخ أحمد محجوب الرِّفاعي الفيومي، حضر صحيح الإمام البخاري على الشيخ الكبير شيخ

الإسلام مصطفى المبَلِّط، الذي حضر صحيح البخاري على شيخ الإسلام الشيخ محمد علي الشنواني، المتوفى سنة ١٢٤٦، وصاحب الثَّبَت المشهور المسمى بـ«الدرر السنية فيما علا من الأسانيد الشنوانية». الشيخ أحمد محجوب الرفاعي حضر البخاري على الشيخ مصطفى المبلط الذي حضر البخاري على الشيخ الشنواني بأسانيد الشيخ الشنواني المذكورة في ثَبَتِه.

فلم يكتف الشيخ أحمد محجوب الرفاعي بتحمل البخاري، بل عكف على إقراء صحيح البخاري سنوات، وكلما ختمه استفتحه، وكان ممن حضر عليه العلامة الكبير الشيخ طه بن يوسف الشَّعْبِيني، الذي لا يسمع أحد عنه ولا عن أحمد محجوب ولا عن حسونة النواوي ولا عن يوسف الدجوي، ولم يُفتِّشوا ثم يقول لك: الأزهر ليس ببيئة حديث!

الشيخ أحمد محجوب الرفاعي حضر البخاري على المبلط وأقرأه، فحضره الشيخ طه الشعبيني، والشيخ أحمد محجوب الرفاعي حضر «صحيح مسلم» على الشيخ محمد عليش شارح مختصر خليل بأسانيده، وأقرأ «صحيح مسلم» بموجب ذلك السماع، وممن حضر عليه الشيخ أحمد نصر العدوي المالكي، ثم جاءت الدُّرة الكبرى في

حياة الشيخ أحمد محجوب الرفاعي، حيث شُغِفَ شغفًا عجيبًا بسنن الإمام الترمذي، واقتنى الطبعة البولاقية، وجمع النُّسخ الخطية، وأكبَّ في مَجْمع من علماء الأزهر على سَرد سُنن الترمذي وعلى النظر في الشروح وعلى تحرير أحكام الترمذي على الأسانيد، وأنه هل قال حسن، أو حسن صحيح، أو حسن صحيح غريب، وعلى مطابقة أحكامه بما ينقله المِزِّي في تحفة الأشراف، وعلى تحرير النسخ الخطية والمطبوعة، وسَجَّل خُلاصات ذلك على هامش نسخته من الطبعة البولاقية، فلما أن جاء العلامة المحدث الشيخ أحمد شاكر، والذي هو أكثرُ أهل العصر اشتغالًا بالترمذي خَضَع لنسخة الشيخ المحجوب الرفاعي خضوعًا تامًّا، ويقول: وقعت لي نسخة الشيخ أحمد الرفاعي من سُنن الترمذي، وهي نسخة جليلةٌ نفيسةٌ، اعتنى بها صاحبها عناية قراءةٍ ودَرْسٍ. ثم من شدة إتقان النسخة جعلها الشيخ أحمد شاكر -وهو مَن هو- جعلها أصلًا يَرجع إليه في ضبط نسخته من السنن، ونَزَّلها مَنزلة المخطوط، بل جعلها تُقَدَّم على المخطوط في الضبط. ثم يأتي مَن لا عِلم عنده ويقول لك: الأزهر ليس ببيئة حديث!

خُذ عندك مثالًا على ذلك العلامة الكبير شيخ علماء الحديث في الأزهر أبو هريرة داود القَلْعي، وقد تَلَقَّى «صحيح البخاري» بأسانيده، ثم إنه عَكَف على إقرائه، فممن حضره عليه شيخ الإسلام

وشيخ الأزهر الشيخ حسن القُويسني، فاعتنى شيخ الإسلام وشيخ الأزهر الشيخ حسن القُويسني بإقراء البخاري، فممن حضره عليه شيخ الإسلام وشيخ الأزهر الشيخ مصطفى العَرُوسي، ثم اعتنى شيخ الإسلام الشيخ مصطفى العروسي بإقراء صحيح البخاري وبإقراء كتاب «الأوائل» لعبد الله بن سالم البصري، وممن حضر عليه كتاب الأوائل لعبد الله بن سالم البصري -«الأوائل الحديثية»- العلامة الشيخ عبد الغني العِنَاني، وأخبر أنه حضر قراءة أوائل البصري على شيخ الإسلام مصطفى العروسي في مسجد جده وَلِيِّ الله الشيخ أحمد الملقب بالعريان، وكان الشيخ مصطفى العروسي يَعْقِد مجالس إقراء الحديث فيحضر مئتان أو أكثر من كِبار علماء الأزهر الذين يتلقون عنه الكتب الحديثية المُسْنَدة.

ثم العلامة الشيخ أحمد بك الحسيني شارح كتاب «الأم»، كان يَعْقِد المجالس الحديثية في بيته ويستضيف مُسند العصر الشيخ محمد عبد الحي الكتاني، وكان يَجمع له كبار علماء الأزهر لسماع الأحاديث المسلسلة وقراءة كُتُب الحديث وتداول الإجازة، حتى لقد رأيت أوراقًا بخط الشيخ عبد الحي الكتاني هي مَحْضَر سماع لمجلس انعقد في بيت أحمد بك الحسيني، فتصفحت الأسماء فإذا أسماء كالجبال، كبار علماء الأزهر من علماء المَقولات والوضع والمنطق

والكلام والأصول والفقه، كلهم يجتمعون في بيت واحد يقرأون كتب السنة ويتداولونها.

وكذلك كان الحافظ مرتضى الزَّبيدي من قَبل، وإقراؤه لكتب الحديث معلوم، حتى آل الأمر إلى شيخنا سماحة المفتي فسرد صحيح البخاري في عشرين يومًا على العلامة المحدث الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري، ثم عقد شيخنا العلامة الشيخ علي جمعة مجلسه الميمون في الجامع الأزهر فأقرأ صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذي وسنن أبي داود وموطأ مالك وشرع في سنن النسائي ثم توقف درسه.

ثم شرع شيخنا الشيخ علي جمعة في إقراء صحيح البخاري فأتمه، وكذلك صحيح مسلم، وكانت مجالسُ شيخنا الإمام في إقراء كتب الحديث في الأزهر الشريف المعمور، بُعَيْدَ صلاة الفجر من كل يوم إلىٰ قريب الظهر، مجالس حافلة، تم فيها قراءة الصحيحين علىٰ فضيلته، وسنن أبي داود كاملة، وسنن الترمذي، وموطأ مالك، مع ما لا أحصره الآن من كتب الأصول والفقه واللغة والمنطق وغيرها من العلوم، وقد استمر هذا المجلس العلمي المعمور نحوًا من خمس سنوات تقريبا، كان يتحدر فيها علىٰ لسان شيخنا الإمام من التحقيقات العلمية، والتدقيقات النفسية ما لا تحيط به عبارة، وكان

كلما تم كتاب من الكتب المذكورة ازدحم الناس في مجلس الختم، ثم يجيز الشيخ الحاضرين بأسانيده العالية الموصولة، التي تفيد التبرك والإبقاء على سمت الأمة في الإقراء، وقد كتب سماحته مقالا حول هذا المجلس العلمي الجليل المبارك، نشر في جريدة الأهرام بتاريخ: ١/١٠/٢٠٠٥م، ثم هو الآن في كتاب: (سمات العصر)/ص١٦٠/ لمولانا الإمام، وهذه حلقة من التاريخ العلمي في عصرنا الحاضر تستحق التسجيل للتاريخ.

وقد حاولت أن أتتسي بهؤلاء فأقرأتُ كتاب «الشمائل»، وعقدت مجلس الختم، ودعوت إليه مشايخنا، فكان صدر المجلس محتشدًا بخمسة عشر بدرا من البدور الأهلة، من كبار علمائنا ومشايخنا: منهم العلامة الشيخ حسن الشافعي، والعلامة الشيخ محمد عبد الرحيم بدر الدين، والعلامة الشيخ محمد إبراهيم عبد الباعث، حافظ صحيح البخاري، والعلامة الشيخ محمد زكي الدين أبو القاسم، شارح المتفق عليه في الصحيحين، وسماحة العلامة الإمام، مفتي الديار، سيدي الشيخ علي جمعة، والعلامة الشيخ معوض عوض إبراهيم، المُعَمَّر مئة سنة، واحتشد الجامع الأزهر بألوف يحضرون مجلس ختم الشمائل، لعلها أن تكون صفحة من الصفحات، وخطوة نسعى بها في إحياء أمجاد الأكابر.

وهكذا مضت مجالس إقراء الحديث، وإسماع الكتب الحديثية المسندة، وتداول الإسناد، والمحافظة على الإجازة، إلى غير ذلك من الفنون الحديثية التي اعتنى بها الأزهر الشريف، ولو ذهبت أستقصي ذلك لرأيتم العجب العُجاب.

والحاصل أنه قد تم شرح الكتب الحديثية الكبرى، وتم تحرير علوم مصطلح الحديث، مع التأليف في علم مناهج المحدثين، والتأليف في علم التخريج، وعقد المجالس الحديثية لإقراء كتب الحديث كابراً عن كابر، والمحافظة على الإسناد والإجازة، فهذه خمسة من الفنون.

*****

الفن السادس: لمحة من مؤلفاتهم وجهودهم في التصحيح والتضعيف

ثم الفن السادس (التصحيح والتضعيف): وعلى رأس المشتغلين بالتصحيح والتضعيف والعلل من الأزهريين شيخ الإسلام الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في شرحه على إحياء علوم الدين، «إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين» في ثلاثة عشر مجلدًا. وما ترك حديثًا من أحاديث الإحياء إلا توسع في تخريجه وهو مَن هو، كان آية الله الكبرى في العلل والطرق ومعرفة مخارج الحديث وحِفظ الأسانيد، حتى إن شيخ الإسلام الحافظ التاج السبكي أفرد في «طبقات الشافعية الكبرى» فصلًا يقول فيه: «هذا فصل في أحاديث الإحياء التي لم أجد لها سندًا».

فتجد أن الإمام المرتضى الزبيدي وجد لها أسانيد ووجد لها أصلًا وحكم عليها وخرَّجها، وكتابه هذا كَنز مجهول، وظللت زمنًا أذكر اسمه لبعض المشتغلين بالعلم، فيفاجأ بأنه لم يسمع عن المرتضى الزبيدي، وسعيت عن بعض مشايخنا في كلية أصول الدين في أسيوط حتى وَجَّهوا واحدًا من إخواننا الباحثين إلى إفراد رسالة من الماجستير

عن الحافظ المرتضى الزبيدي وجهوده في علوم الحديث، فلله الحمد.

وكتاب الحافظ مرتضى الزبيدي ثمرة أزهرية ناضجة حافلة بالأسانيد والطرق والتصحيح والتضعيف والعِلل والتخريج والعزو، ومؤلفاته في باب العلل والتخريج والطرق تزيد على الأربعين كتابًا من جملة كتبه التي تزيد على المائتين وسبعين، ومنها «ألفية السند» التي يقول فيها:

وقَلَّ أن ترى كتابًا يُعتمد * إلا ولي به اتصال وسند

أو عالمًا إلا ولي إليه * وسائط توقفني عليه

فكان رحمه الله مسند الدنيا، وكان مَجْمَع الأسانيد، وكان مَرْكز أسانيد أهل مصر في زمانه. فباب التصحيح والتضعيف لم يُمت في الأزهر، وقد حُفِظ على أهل العلم بما حواه وجمعه الحافظ مرتضى الزبيدي في «شرح الإحياء».

ثم أين أنتم من العلامة الشيخ أحمد شاكر؟ ولماذا تُكْبِرون الشيخ أحمد شاكر وتُقَدِّرونه وتأخذونه معزولًا عن سياقه الأزهري، وهو العالم الأزهري المحدث المتمكن الحجة البصير بالعلل، الخبير المنقطع النظير بالجرح والتعديل وفنون الصنعة الحديثية، الفائق على الأقران في زمانه وما بعده من الزمان، وما هو إلا ثمرة من ثمرات الأزهر، ووالده

العلامة الشيخ محمد شاكر كان وكيلًا للجامع الأزهر، وهو حضر وقرأ على أبيه «سنن الترمذي»، وقرأ على أبيه «تفسير النَّسفي»، وقرأ على أبيه «متن المنهاج» في الأصول للبيضاوي.

إذن أحمد شاكر أزهريٌّ ابن أزهريٍّ، ووالده وكيل الأزهر، وهو مُحَدِّث الديار المصرية على الإطلاق في هذا الزمن. ثم يأتي من يقول لك: الأزهر ليس بيئةً حديثية.

أين أنتم من العلامة المحدث الشيخ عبد الله الصديق الغماري، الذي أقام في مصر أربعين سنة وتجنَّس بالجنسية المصرية، وحصل من الأزهر على العَالِمِيَّة (الدكتوراه)، وقد سعوا في أن يدرس الحديث في كلية أصول الدين لولا بعض الأمور أيام الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي، وكان رحمه الله قد دُعي هنا، في هذا المكان، في قاعة محمد عبده، في مجلس حديثي كبير حضره كبار علماء الأزهر، وكان منهم شيخنا الشيخ سعد جاويش، وشيخنا الشيخ إسماعيل الدفتار، وغيرهما كثير من العلماء، فدعوا العلامة المحدث الشيخ عبد الله الصديق هنا بعد غيابه عن مصر سنوات طِوال، وتكلم في بحوث الحديث، وطلبوا منه الإجازة فكتب لهم وأجازهم. والعلامة المحدث السيد عبد الله الصديق مؤلفاته تقارب الثلاثمئة، وأكثر تآليفه في الصنعة الحديثية: «تخريج أحاديث اللمع لأبي إسحاق الشيرازي»،

«تخريج أحاديث المِنهاج للبيضاوي»، وغير ذلك من الكتب الحديثية المتقنة، وقد كان إمام الصنعة في هذا الزمن، وهو ثمرة من ثمرات الأزهر الشريف.

أين أنتم من العلامة محمد بن محمد الخانجي البوسنوي وهو من علماء الأزهر، وقد كان محدثا نقادا، عارفا بالتصحيح والتضعيف. أين أنتم من الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي وأعماله في خدمة مسند الإمام أحمد وغيره؟ أين أنتم من العلامة الشيخ الحسيني عبد المجيد هاشم في إكماله لتخريج أحاديث المسند؟

أين أنتم من العلامة المحدث محمد الحافظ بن عبد اللطيف التيجاني ت١٣٩٨هـ، وله (تخريج أحاديث اللمع لأبي نصر الطوسي)، وله: (تعقبات على استدراكات الذهبي على الحاكم)، وله غير ذلك من الأعمال الحديثية، وكان الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود إذا سئل: ممن نأخذ الحديث؟ يقول: من السيد عبد الله الغماري، ومن الشيخ الحافظ التيجاني.

أين أنتم من العلامة المحدث الشيخ نور الدين عتر، وهو من هو في علم العلل، وخدمته لشرح العلل لابن رجب في غاية الجودة، وهو ثمرة أزهرية، أقام في الأزهر تسع سنين، وتخرج بالشيخ محمد

محمد السماحي، وانتفع بالعلامة محمد عبد الوهاب البحيري، وكانوا يذهبون إليه بعد العصر من يوم الجمعة من كل أسبوع، فيعقد لهم مجلسا طويلا، يطرح لهم فيه ترجمة من تراجم البخاري، ثم يطالبهم بالاجتهاد في استخراج وجه مطابقتها لما تحتها من الأحاديث، ثم يأتي هو في ذلك بالعجائب، من دقائق العلم.

أين أنتم من شيخنا العلامة المحدث الشيخ أحمد مَعْبِد عبد الكريم، شيخ المحدثين على الإطلاق في هذا الزمان؟ وهو من هو في الجرح والتعديل، والعلل، ونقد الأسانيد.

أين أنتم من عشرات من العلماء الأزهريين المتخصصين في الحديث، والمشهود لهم بغزارة العلم، والخبرة بالرجال، والدراية بمسالك التصحيح والتضعيف، والقائمين بتدريس ذلك كله في كليات جامعة الأزهر الشريف. ثم يأتي من يقول لك: الأزهر ليس ببيئة حديث!

*****

الفن السابع: لمحة من مؤلفاتهم في الجوامع الحديثية

تعالوا إلى فن آخر، وهو الفن السابع: (إخراج الكتب الجوامع في الحديث)، كما فعل الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في «الجامع الصغير»، وكما فعل الشيخ النَّبْهاني في «الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير».

فقام الشيخ منصور علي ناصف، العالم الأزهري المحترم الجليل، وكان إمام مسجد السيدة زينب رضي الله تعالى عنها، فأخرج كتابه «التاج الجامع للأصول»، وهو كتاب حديثي جامع، صنع على يد عالم أزهري.

أين أنتم من «الموسوعة الحديثية» للعلامة الشيخ الحسيني عبد المجيد هاشم في أربعة عشر مجلدًا، وقد مات وتركها مخطوطة ولم تُطبع إلى اليوم؟

أين أنتم من كتاب «زاد المسلم، فيما اتفق عليه البخاري ومسلم» للعلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، وقد كان عالمًا محدِّثًا أزهريًّا وكان يُدرِّس الحديث في كلية أصول الدين أيام أن كانت

في مسجد الخازندار في شبرا في أول نشأة كلية أصول الدين، وكان الشيخ السماحي، والشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف، والشيخ محمد اللافي شرعان، والشيخ شاكر الشنطوري السكندري، والشيخ عبد الوهاب البحيري، وجماعة من علماء كلية أصول الدين يجتمعون لقراءة صحيح مسلم على الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي.

بالإضافة إلى عشرات الكتب الحديثية الجزئية، التي اعتنت بجمع أحاديث باب معين، مع خدمتها وشرحها، مما هو منثور ومنتشر ومتفرق، بحيث لو جمع في صعيد واحد لظهر منه مقدار انكباب الأزهريين على الجرد والسرد للمطولات الحديثية المسندة، مع ضم النظير إلى النظير، وجمع الأبواب الحديثية، وتكفي هنا تلك الشذرة العابرة في بيان عنايتهم بإخراج الجوامع الحديثية الكبرى، وللتفصيل موضع غير هذا.

بيئة حديثية حافلة مبهرة، ثم يقول لك: الأزهر ليس ببيئة حديث!

*****

الفن الثامن: لمحة من جهودهم في تحقيق المخطوطات الحديثية وإخراجها إلى دائرة المطبوع

الفن ثامن: الإكباب على تحقيق الأصول الحديثية وإخراج عيون كتب الحديث المخطوطة إلى حيز المطبوع: وخذ عندك مثالا على ذلك: كتاب «تدريب الراوي» للحافظ السيوطي، وأي طبعة توازي طبعة العلامة الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف الأستاذ بكلية أصول الدين، وشيخ مشايخنا، ومن كبار علماء الحديث في الأزهر، وقد خرجت بعده نحو ست نسخ، واجتهدَتْ في جمع مخطوطات بأكثر مما جمع هو، ثم لا تزال نسخة عبد الوهاب عبد اللطيف هي المعول عليها، وما نجحت نسخة بعد نسخته في أن تُنسي الناس نسخته من التدريب، فقد التصق «تدريب الراوي» بتحقيق العلامة الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف وخدمة الكتاب.

والعلامة المحقق الشيخ السيد أحمد صقر، من كبار علماء الأزهر، ومن كبار علماء كلية أصول الدين، وقد حقق ثلاثة مجلدات من «فتح الباري»، وقد حقق مجلدًا من «دلائل النبوة» للبيهقي، وقد حقق كتاب «آداب الشافعي» للإمام البيهقي في مجلدين، وقد حقق

كتاب «الإلماع في تقييد الرواية وأصول السماع» للقاضي عياض، وعشرات من الكتب والتحقيقات التي خدم فيها الحديث الشريف وأنفق فيها عمره، وكان آيةً كبرى في الدراية بالمخطوط وبفنون التحقيق، واقرأوا حديثًا عجبًا عن صبره على هذا الفن في كتاب «المدخل إلى تاريخ نشر التراث في مصر» للعلامة الكبير الشيخ محمود محمد الطناحي رحمه الله تعالى.

فقد تبين لك بعد هذه الشذرات أن الأزهر الشريف ما ترك بابًا من أبواب خدمة الحديث الشريف إلا وقد قام بها، ويتبين لك بعد التفتيش أن الأزهر الشريف هو المدرسة الحديثية الكبرى في العالم، وأنه لا تُعْرَفُ مدرسة ولا فرد ولا بيئة ولا مركزٌ علمي تفانى في خدمة الحديث الشريف من سائر وجوهه كما فعل الأزهر الشريف وعلماء الأزهر الشريف.

وأنتوي إن شاء الله تعالى أن أجمع هذه الشذرات وهذه الأطراف مع ما أتمكن من إضافته إليها في مقال أو في كتيب، أو ورقة بحثية، حتى يكون ذلك نبراسًا، وشاهدَ صدق، يُنْبِىءُ ويُخْبِرُ ويُعْرِبُ عن جهود علماء الأزهر الشريف في خدمة الحديث الشريف[1].

---

(١) وقد التقط هذه الفكرة أخونا الكريم فضيلة الشيخ إبراهيم شعبان المرشدي الأزهري، فنهض إلى جمع كتاب حافل، توسع فيه في رصد ذلك كله، واسم كتابه: «المحدثون في رحاب الأزهر الشريف»، وقد تم الكتاب وطبع في دار كشيدة للنشر والتوزيع.

والذي أريد أن أختم به أن الأزهر الشريف قد هُضِمَ قدره، وجُهِلَت علومه، وتهجَّموا على أعيانه وعلمائه وعقائده وتاريخه، وأهالوا التراب على الأعمار الشريفة، التي تقضَّت في خدمة العلم، وعلى القامات الكبيرة من العلماء المخلصين الأكابر، الذين بذلوا النفس والنفيس في خدمة العلم الشريف، في مختلف دوائره، وتفانوا في خدمة الحديث النبوي الشريف المطهر، إعظامًا منهم وإجلالا وتبجيلا للجناب النبوي المعظم، وتعلُّقًا منهم بالحديث النبوي الشريف.

فأسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم خير خلف لخير سلف، وأن يرزقنا وإياكم كمال السعي في القيام بتَوْفِيَة هؤلاء الأكابر حظًّا وبعضًا وقسطا من قدرهم العالي المنيف، وأسأله سبحانه أن يُظهر في العالمين فضلهم وشرفهم، وأن يحفظ الأزهر الشريف بحفظه الجميل، وأن يُعْلِي مناره، وأن يرفع مقداره، وأن يصونه بصونه، ويرعاه بعنايته، وأن يسبغ عليه وعلى رجاله سوابغ إنعامه وفضله، إنه سبحانه وليُّ ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

*****

الفهرس

*****